جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

عصر فجر السلالات

محاضرة لطلبة المرحلة الاولى
مادة تاريخ العراق القديم

ا.م.د. انتصار نصيف شاكر

*

عصر فجر السلالات

اعقب العصر الشبيه بالكتابي الذي شهد طلائع الحضارة الناضجة وبداية استخدام الكتابة عصر اصطلح على تسميته (بعصر فجر السلالات) اشارة الى السلالات الاولى المعروفة التي حكمت في القسم الجنوبي من العراق ، وهو يمثل اولى العصور التاريخية الفعلية حيث زاد استخدام الكتابة فيه ودونت بواسطتها نصوص كثيرة ومهمة ، ومن الباحثين من عرف العصر نسبة الى الوضع السياسي العام الذي ساد المنطقة في هذه الفترة والذي تميز بوجود عدد من دول المدن السومرية او السلالات السومرية التي كانت كلاً منها تحكم في مدينة من المدن السومرية الرئيسية فأطلق عليه اسم (عصر دول المدن السومرية) ، كما سمي العصر ايضاً (بعصر ما قبل سرجون) ، لأهميته حكم سرجون الذي يؤشر نهاية هذا العصر

وهناك تسميات اخرى للعصر اقل شيوعاً منها (عصر اللبن المستوي المحدب) اشارة الى استخدام نوع خاص من اللبن في هذا العصر فقط ، كما سماه البعض بعصر لجش، نسبة الى احدى دول المدن السومرية المهمة التي قامت فيها سلالة قوية هي سلالة لجش الاولى شغلت الفترة الاخيرة من العصر وأظهرت التنقيبات الأثرية آثارها ونصوصها المسمارية المهمة.

ومن اهم اسباب استخدام هذه التسميات المختلفة من قبل الباحثين وعدم الاتفاق على اسم واحد ، كما هي الحال بالنسبة للعصور الاخرى التالية ، ويبدو ان الجواب على ان هذا العصر على الرغم من طول فترته وازدهار حضارته وأهميته بالنسبة لتأريخ العراق القديم ، الا أنه كان عصراً يكتنفه الغموض وتقل عنه المصادر الموثوقة من جهة كما اتسمت المنطقة خلاله بالتجزئة والانقسام وتعدد مراكز القوى ، ولم تظهر فيه دولة قوية موحدة كي يسمى العصر باسمها من جهة ثانية ، وفضلاً عن ذلك ، وعلى الرغم من أن العصر يمثل بداية العصور التاريخية الفعلية فإنه لم يشهد تغييرات حضارية جذرية او ابتكارات مهمة كابتكار صناعة الفخار او استخدام المعادن او اختراع الكتابة او غير ذلك مما قد يعطيه صفة خاصة يختلف فيها عن العصر السابق او اللاحق .

وكما اختلف الباحثون في تسميه العصر ، كذلك اختلفوا في تحديد بدايته وللأسباب نفسها التي ذكرناها ، فمنهم من الحق الطور الاول من هذا العصر بالعصر الشبيه بالكتابي السابق له ، ومنهم من عد بدايته بعد دور جمدة نصر مباشرة ، وهكذا حددت بداية العصر بحدود عام ٢٩٠٠ ق.م او ٢٨٥٠ ق. م او

٢٨٠٠ ق. م ، في حين يتفق الباحثون على جعل نهايته عند قيام الدولة الاكدية عام ٢٣٧١ ق. م (حسب التسلسل التأريخي المتبع في هذا الكتاب) .

ولطول الفترة الزمنية التي شغلها العصر (اكثر من اربعة قرون) ، فقد تعارف اكثر الباحثين على تقسيمها الى ثلاثة اطوار او عصور ثانوية استناداً الى بعض الخصائص والسمات الحضارية التي اتسمت بها الآثار المكتشفة في مدن ومواقع هذا العصر وخاصة اشكال وطرز الاواني الفخارية والاختام الاسطوانية وما تحمله من مشاهد والطرز المعمارية الخاصة بالمعابد والقصور وغيرها من الطرز التي ميزت فن النحت البارز والمدور والنقش على الحجر او المعدن واشكال واحجام الرقم الطينية وغيرها من الخصائص الحضارية ، وقد عرفت الاطوار الثلاثة بعصر فجر السلالات الاول والثاني والثالث على التوالي وخصص لكل منها ما يقرب من ثلث المدة الكلية المخصصة لعصر فجر السلالات بكامله .

مصادر معلوماتنا عن عصر فجر السلالات

ان معلوماتنا عن عصر فجر السلالات ما تزال ، قليلة نسبياً ولا تتناسب وطول فترة واهمية العصر من الناحيتين التأريخية والحضارية وبصورة خاصة بالنسبة لتأريخ السومريين والعناصر الحضارية التي ازدهرت في عهدهم ، فالمعروف ان اول ظهور السومرين عنصراً رئيساً في المنطقة على مسرح الاحداث السياسية والحضارية كان في هذا العصر ، وقد امدتنا التنقيبات الاثرية التي اجريت في معظم المدن السومرية في بلاد سومر وبعض المدن والمواقع خارج بلاد سومر ، كمواقع منطقة ديالى وبلاد آشور ، بمعلومات وافية عن المنجزات الحضارية التي حققها السومريون خلال هذا العصر مكنت الباحثين من رسم صورة عامة وتقريبية عن الحياة السومرية في عصر فجر السلالات، الا ان معظم ما لدينا من معلومات يخص الجانب المادي من الحياة دون الجانب الفكري والثقافي نظراً لقلة النصوص المسمارية المكتشفة والتي قد تعكس لنا هذا الجانب من الحياة ، ومع اننا حصلنا على عدد كبير من النصوص المسمارية من هذا العصر فإن معظمها كان ذا طابع اقتصادي او مدرسي ولا يعكس لنا سوى جوانب محددة من الحياة انذاك .

اما معلوماتنا عن الوضع السياسي في بلاد سومر في هذا العصر وعن تاريخ السلالات والحكام والملوك الذين تتابعوا على حكم المدن السومرية ، فمستمدة بالدرجة الاولى من نصوص مسمارية دونت في فترة لاحقة ، اي انها دونت بعد عصر فجر السلالات بعدة قرون ، وتأتي في مقدمتها ما يعرف عادة بجداول او اثبات الملوك السومريين التي دونت اقدم نسخه منها في عهد سلالة اور الثالثة (٢١١٣– ٢٠٠٦ ق.م) والنص المعروف بنص تمال الذي دون هو الآخر في فترة مقاربة من تأريخ تدوين جداول الملوك ، اضافة الى ذلك ، فإننا نمتلك نصوصاً مسمارية معاصرة على درجة كبيرة من الأهمية وتخص الفترة الاخيرة من عصر فجر السلالات تلك هي النصوص السومرية المكتشفة في مدينة لجش والتي تعود الى عهد سلالة لجش الاولى والتي زودتنا بمعلومات وافية عن هذه السلالة التي لم تذكر اصلاً في جداول الملوك السومريين لأسباب غير معروفة لدينا بعد .

ومع اهمية جداول الملوك السومريين بالنسبة لتأريخ هذه الفترة السياسي ، فإن طبيعة هذه الجداول ووقت تدوينها وما يؤخذ عليها من مآخذ ، كما سبق أن اشرنا الى ذلك يقلل من اهميتها، وفضلاً عن ذلك ، فإن ما جاء فيها من معلومات عن تأريخ السلالات كان مقتضباً ويكتنفه الغموض والمبالغات ولا يتضمن سوى اسماء عدد من الحكام وسني حكم كل منهم ، ومع ذلك ، تبقى جداول الملوك مصدرنا الوحيد احياناً عن بعض السلالات التي حكمت في بلاد سومر ولا سيما في الفترات المبكرة من عصر فجر السلالات ، اما نص تمال فإن ما جاء فيه من معلومات تأريخية تكمل احياناً ما ورد في جداول الملوك وتملأ النقص الموجود فيها بخصوص اسماء بعض الحكام الذين حكموا في مدينة نفر ، وكان نص تمال قد دون في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد وتضمن اسماء عدد من حكام عصر فجر السلالات وازمنة حكم بعضهم بالنسبة لبعض من الذين قاموا بتجديد معبد تمال في نفر .

ويعد نص انتمينا حاكم مدينة لجش الذي حكم في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد من اقدم المدونات التأريخية المعروفة لدينا حتى الآن واكثرها اهمية حيث انه يسبق جداول الملوك السومريين عدة قرون من حيث تأريخ التدوين ، ويروى لنا هذا النص تأريخ الصراع الذي خاضته مدينة لجش ضد مدينة اوما المجاورة لها لما لا يقل عن ثلاثة اجيال الى ان تم الصلح بينهما والذي توج بابرام معاهدة تعد الاولى من نوعها ثبتت الحدود بين المدينتين .

الاوضاع السياسية والعامة في عصر فجر السلالات

تؤكد التنقيبات الاثرية التي اجريت في مدن العراق والتي ضمت آثاراً من عصر فجر السلالات وكذلك النصوص المسمارية المعاصرة للعصر أو المتاخرة عنه على الرغم من قلتها ، ان القسم الجنوبي من العراق كان ينعم في هذه الفترة بنوع من الازدهار الحضاري والرفاه الاقتصادي ، كما يستدل على ذلك من نشاط الحركة العمرانية واتساع ونمو المدن التي كانت قد نشأت منذ العصر الشبيه بالكتابي حتى غدت مراكز حضارية مهمة ، وقد رافق الازدهار الحضاري والنشاط العمراني زيادة ملحوظة ، كثافة سكان المدن ونشاط في الزراعة والتجارة ، ولاسيما الخارجية ، وحركة دائبة في تنظيم مشاريع الري التي اعتمدت عليها الزراعة في بلاد سومر واقامة السدود اللازمة لدرء اخطار الفيضانات السنوية ، وقد تطلب كل ذلك جهوداً كبيرة وتعاوناً مستمراً من السكان فكان ان تطورت الادارات المحلية التي كانت تشرف على شؤون المدينة الى حكومات منظمة يشرف على ادارة كل منها مجلس المدينة العام المؤلف من مجلسين احدهما خاص بالمسنين من سكان المدينة ، وضم الآخر شباب المدينة من القادرين على حمل السلاح ، ويبدو ان المجلس العام كان ينتخب احد اعضائه ويخوله الصلاحيات اللازمة لادارة شؤون المدينة وكان هذا المنتخب يسمى ابن ، اي السيد ، وكان هذا النظام من ادارة المدن هو النواة الذي انبثقت عنه دول المدن السومرية حيث اصبحت كل مدينة رئيسة من المدن الكثيرة المنشرة في بلاد سومر مركزاً لدولة صغيرة تضم المدن الصغيرة والقرى والارياف والاراضي الزراعية المحيطة بالمدينة الرئيسية ، وقد اصطلح الباحثون المحدثون على تسمية تلك الدول الصغيرة بدول المدن السومرية ، وكان لكل دولة حدودها الاقليمية ومصادر مياهها الخاصة بها وحاكمها المستقل عن غيره ونظمها وقوانينها ، كما كان لكل دولة معبدها الرئيس والهها الحامي ونظامها الكهنوتي، وكان للمعبد وكهنته دور كبير في حياة المدينة الاقتصادية والثقافية الى جانب دوره في الحياة الدينية ، وتشير الأدلة المتوفرة الى وجود عدد من دول المدن هذه في آن واحد ، اي ان بعضها كان يعاصر بعضها الآخر احياناً ، وقد يزيد عدو دول المدن

القائمة في فترة معينة من عشر دول ، وان كانت جداول الملوك السومريين قد ذكرت لنا اسماء المدن والسلالات التي حكمت في هذا العصر على نحو متعاقب وكأن بلاد سومر كلها كانت تحت حكم سلالة واحدة وان الحكم لا ينتقل الى السلالة الاخرى الا بعد القضاء على السلالة الحاكمة بقوة السلاح ، على حد تعبير جداول الملوك .

وتشير الأدلة الآثارية المتوافرة ، ولاسيما من دولة لجش ، ان المدن الرئيسية في بلاد سومر والتي كانت مراكز لدول صغيرة كانت في نزاع وحروب مستمرة ، ويبدو ان من اسباب تلك الحروب اضافة الى الرغبة الذاتية الكامنة عند حكام المدن للاستحواذ على المزيد من الاراضي ومصادر المياه ، هو ضرورة السيطرة على الطرق التجارية ، عماد الحياة الاقتصادية من بعد الزراعة ، كما كان هناك اتجاه سياسي عام غلب على سياسة الحكام والملوك البارزين الذين شعروا بانفسهم القوة يهدف الى ضم بعض الدول والمدن الصغيرة الى الدولة الاكبر والاقوى لزيادة قوتها وجعلها قادرة على تنفيذ مشاريع الري الكبيرة وضمان امن وسلامة القوافل التجارية من جهة وفي الوقت نفسه قادرة على مواجهة اي اعتداء خارجي قد تتعرض له المنطقة ولاسيما من جهاتها الشرقية ، وقد حدثت بعض المحاولات بهذا الاتجاه ونجح عدد من الحكام في ضم اراضي الدول المجاورة الى اراضيهم ، كما حدث ذلك بالنسبة لميسليم ملك كيش وميسانيدا مؤسس سلالة اور الاولى، واي اناتم حاكم لجش ، ولقب مثل هؤلاء الحكام انفسهم بلقب ملك الذي كان يدل على ان سلطاته قد تعدت حدود دولته ، الا ان المحاولة الناجحة في توحيد عدد من دول المدن واقامة دولة القطر الموحدة حدثت في اواخر عصر فجر السلالات عندما تمكن لوجال زاجيزي ، حاكم اوما من تحقيق ذلك وأسس اول دولة موحدة ضمت تحت لوائها معظم الدول السومرية التي كانت قائمة آنذاك ، الا انه لم يستمر بالحكم طويلاً وقبل ان يتمكن من تثبيت سلطانه ظهر زعيم آخر ، حقق وحدة ارض الرافدين من اقصاها الى اقصاها واقام اول دولة موحدة من نوعها ذلك هو سرجون الاكدي الذي عد عهده نهاية لعصر فجر السلالات وبداية لعصر جديد هو عصر الدولة الاكدية .